حضورُ الموت وإيقاع الغياب في شعر (موسى حوامدة)

د. احمد شهاب
مدرس / تربية الرصافة الأولى - بغداد

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على حضور الموت في شعر موسى حوامدة بوصفه الثيمة الأكثر انتشاراً في شعره،وقد تناولت الدراسة نمطين من الموت الأوّل الموت الطبيعي وطبقات خوف الإنسان منه ، فمنذ أن وعى هذه الحقيقة ، وهو يحاول نسيانها كونها مسألة مؤجلة ، وكيف واجه حوامدة هذه الحقيقة وانعكاساتها في شعره، أمّا الثاني فهو الموت المعنوي الذي هو في أبسط تعريفاته ، موت الروح وموت المعنى الحقيقي للوجود الإنساني ،ولم يكتشف الشاعر سرّ الموت ولا دلنا إلى دواء يطيل العمر ولكنه غنّى ما تتركهُ العاصفة حطاماً على الأرض، وممّا لاشكَّ فيه أنّ بواعث الموت في شعر حوامدة ذاتية تتعلق بالذات الشاعرة وقلقها الإنساني ،وموضوعية تتعلّق بتفاصيل مراحل الموت الفلسطيني على دروب الحرية .

فلم يذب هذا الشعب بما حوله بل ظل محافظاً على هويته ، فكان على الشاعر أن يواجه موتين الأوّل : موت ذاته بسبب ضياع الأخلاق والثاني طبقات التآمر الدولي على قضية فلسطين ، ولقد توصّل البحث إلى نتائج عديدة منها: لقد وجدنا أن عنوانات الشاعر الرئيسة : (سلالتي الريح..عنواني المطر) و (جسد للبحر...رداء للقصيدة) تلّمح إلى لجوء الشاعر لمكونات الطبيعة،تعبيراً عن نوع من الاحتماء والتشبث بالخلود كون هذه المكونات لا تموت أو هي أطول عمراً من الإنسان ، ويتسم موقف الشاعر من الموت بالخصوصية ففي البدء كان يراه فتنة وعتمة فتطور موقفه منه فصار يحن إليه ، متعاطفاً مع أمواته.

Abstract
This study aim to stand on the attendance of death in the Musa Hawamdah poetry as a theme most description and most spread in the poetry . this study deal with the tow styles of death, the first on the nature death wich is the fear of human . and the awareness of the truth. Whom try to forget and relectionswich is the postponed case . How did Hawamda face this truth. The second type is moral death wich is the simplet meaning of the human stillness.the poet doesnotdescover what which enrage the age and all of his death reasons, in the poetry of Hawamda a bibliography of the Palestinian death stages ,and the human wariness through the freedom sides. Where he is not dismiss this people along with the events and still keeping their heritage , where the poets face the death twice, the individual death and traditions lose against the imperialism layers on the native case

المقدمة

لقد كان الموتُ منذ أن أدركه الإنسان حاجزاً يقف في طريق حريته ، وليس باستطاعة الإنسان أن يغيّر حقيقة هذا الحاجز الذي يعطّل سعيه إلى الاكتمال والنضوج والإبداع والخصب والانفتاح على الديمومة ؛وبذلك يشعرُ الإنسان بالتردد والتوتّر كلّما ساورته فكرة الغياب ، وظل الإنسان –وعلى وجه الخصوص– الشاعر، متأملاً هذه الظاهرة التي تنقله من الحضور إلى الغياب ومن اكتمال ذاته إلى نقصانها ،ونحسب أن الشاعر أكثر استشرافاً للموت وانتظاراً له ؛وذلك لأنه يسعى إلى حيازة ناصية متعة التذوق ويقظة الحس ، إذ إن القراءات تسمو بالنفس وتبني جمالها النبيل ،وعندما يقف الزوال حيال الذات الشاعرة مهدداً بإزالتها ،فإن هذه الذات تتضخم وتنشطر على نفسها ، ولأنها لم تعش – سابقا – في كنف الموت فهي تجهله وهذا الجهل يؤدي إلى الخوف منه، فتحاول أن تتشبث بالحياة ما استطاعت .

يمتلك الشاعر موسى حوامدة موقفاً خاصاً من الموت راسماً بذلك أدق صور حنين الحياة إلى الموت ،وحنين الحضور إلى الغياب ، والكمال إلى النقصان والطمأنينة إلى القلق ، عبر تجربة شعريّة غطت أكثر من ربع قرن ،واجه فيها موتين : موت شخصي ويتمثل بموت أبيه وأمّه وصديق طفولته (صالح) وأبناء شعبه الفلسطيني ،وموت موضوعي متمثلاً بموت

قيم المجتمع،وقد اخترنا دواوينه : سلالتي الريح...عنواني المطر، وجسد للبحر...رداء للقصيدة ،وموتى يجرّون السماء، إذ تنتشر ثيمة الموت على مساحة واسعة فيها مستفيدين من معطيات منهج التلقّي ، وكانت حواراتنا معه ولقاءاتنا تفتح مغاليق كثيرة في شعره أضف إلى ذلك المراجع التي أفاد منها البحث ، نذكر منها : فلسفة الموت لأمل مبروك ،والموت المتخيل في شعر أدونيس لعبد السلام مساوي والموت والمغامرة الروحية لعمر منير، ودلالة الموت في الشعر العربي المعاصر رسالة ماجستير لمحمد مادو،وقد انقسم البحث على محورين اثنين سبقهما تمهيد وأعقبهما خاتمة . أما التمهيد فقد سعى إلى الكشف عن علاقة الإنسان بالموت بنوعيه المادي(الطبيعي) والمعنوي وقلق الإنسان تجاه الموت والغياب.

تناول المحور الأول الكائن وسلطة الموت المادي طبقات خوف الكائن منه ، إذ إن الذات الإنسانية وعلى وجه التحديد الذات الشاعرة ، تحاول أن تنساه كونه مسألة مؤجلة ،إلّا انه لا يفتأ يظهر في دربها كالضوء الأحمر؛فكلّما رحل صديق أو قريب انتبه إلى حضوره المهدد بالغياب ،هذا الغياب الذي ولد مع ولادة الحضور،ولقد وعى حوامدة في تجربته الشعرية أن الإنسان يولد فيولد موته معه ؛ ممّا دفعه إلى اللجوء لكهف الموت وصداقة الأموات والكتابة عنهم .

أمّا المحور الثاني الكائن وسلطة الموت المعنوي ،فتناول نمطاً آخر من الموت ،هو الموت المعنوي ،ويكون نتيجة انغماس الإنسان في الحزن والفقر والفراغ والبؤس ،فتسود قيم إنسانية معادية لقيم الشاعر فيحاول أن يدافع عن حقيقته مصطدماً بما حوله من تناقض ، وبما أنّ الذات الشاعرة تتطلّع إلى الكمال عبر السعي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ، وتحقيق الذات من خلال الكتابة ، والانتشار، وحرية الفكر، وبما أنّ واقع الشاعر ينفتح على تهميش الآخر؛مم يُدخل الذات الشاعرة في مرحلة الموت في الحياة ،فيفقد الإنسان معنى وجوده .

وبعد، يبقى نص حوامدة مفتوحاً على التلقّي والتأويل ، ومن الصعب أن نحسم مسألة الموت في شعر الشاعر ، خاصة وإنها مسألة تتحول في نهاية المطاف إلى تجربة تعتمل في الذات الشاعرة محوّلة إياها إلى جسد وفكرة وحس وروح عبر قناة المجاز وإيقاع اللغة والهذيان والبوح واليقين والشك ينصهر ذلك كله في ثنائية الحضور والزوال يتخللها مطاردة الوهم وتحويله إلى حقيقة على الورق .

الكائنُ والموت : تمهيد

ظل سؤالُ الإنسان ما الموت ؟ولماذا نموت؟ يجسّد قلق الإنسانية تجاه هذه الظاهرة الغامضة ، فمنذ أن رأى الإنسان الجبال والأشجار والأنهار حوله لا تشيخ ، ولا يفعل فيها الزمنُ فعله ؛انتبه إلى المتغيّرات الحادثة في جسمه عبر عشرات السنين، فكلّما كبر الإنسان التفت إلى قبره،فهل ولد الإنسان لكي يموت؟

إنّ جميع الموجودات على الأرض سوف تفنى وتموت عاجلاً أو آجلاً والتجربة تشهد بذلك ، وليس ثمة إنسان بمنجى عن ذلك ، فهو سائر حتماً إلى الموت ، ولكن هذه الحقيقة العينية تنطوي على جهل تام فيما يتعلّق بالزمان الذي يقع فيه الموت ، فيتجاهل الإنسان هذه الحقيقة ، لكنها وإن غابت ونُسيت فهي تظهر في دربه كالضوء الأحمر(وقد عبّرت ثقافات الشعوب وفلسفاتها وأساطيرها

عن قضية الموت بمستويات مختلفة ،ونقلت كثيراً من التصورات عن طبيعة العدم والفناء) مما يؤكد قلق الإنسان وخوفه من الموت الذي ترسّب عبر آلاف السنين لكن الإنسان ظل يبحث عن طريق آخر للبقاء ،وذلك بالإنجاب، والتناسل ؛ ليترك بعده ذرية تحمل اسمه مدة من الزمن ، أوبالفنون التي تخلّد ذكره ،وقد قامت الإنسانية بمحاولات عديدة لمجابهة الموت والإمساك بالبقاء ، فقديماً حاول كلكامش سرقة عشبة الخلود من الغابة ، وفي العصر الحديث أحال الإنسان أعشاب البراري أدوية يرفد بها المستشفيات للتقليل من آلامه وأحزانه ،لكن الموت ظل كائنا مجهولاً،يختطف الإنسان إلى المجهول وظل الإنسان مذهولاً أمام هذا الزوال ، وهذا الذهول والقلق هو الذي دفع المصريين أن يبنوا أهراماتهم ، فلاشكّ أن الموت كان واحدا من أهم مفاتيح تلك الحضارة وهو مصدر كل هذا الظل الكثيف من الرهبة والخشوع التي تعترينا كلما وقفنا أمام هرم أو قبر أو مومياء حيث نجد أنفسنا لا نفكر بشيء آخر سوى الموت وفي داخلنا ينبثق شعاع غريب لابدّ أن يكون مماثلاً لذلك الشعاع الذي انبثق من أعماق ذلك المصري القديم ،وبدراسة ما أنتجه فكر الإنسان نجد قناعة واضحة أن الموت ليس مرحلة نهائية لوجود الإنسان ،بل عُدّ بمثابة عملية تؤمّن انتقاله إلى مرحلة أخرى تختلف عن الحالة التي عاشها في حياته على الأرض

يبدو أن الإنسان وحده- بين المخلوقات – الذي طرح السؤال المعروف ما الموت؟ والسؤال بهذه الطريقة محاولة لحل مشكلة الإنسانية وإيقاف نزيف قلقها المستمر،

ومشروع لإيقاف أسئلتها من أين جئنا؟ والى أين نذهب ؟وماذا بعد الموت؟ وكون الإنسان قد ذهب ماضيه وغاب عبر طيّات الزمن وصار يعيشُ حاضراً محاصراً بأسئلة كثيرة ومستقبله المجهول كل هذه المعطيات أوقدت سؤاله الوجودي، فقد خلدت حضارة الفراعنة ثقافة الموت، سواء ببناء القبور الملكية "الأهرامات"، أو المقابر، أو المعابد التي اعتنت بفن النقش والرسم والحروف الفرعونية، وحتى التحنيط الذي يفتن العالم حتى اليوم، وطريقة الدفن والاحتفالات بالموتى تشهد أنهم كانوا يقيمون شأنًا كبيرًا للموت، ربما كانوا يريدون حياة أخرى، كل هذا يدل على أن البحث في الموت لم يتوقف منذ الأزل، ولن يتوقف هذا السؤال الأبدي ، ولأن هذا السؤال لم يتوقف لم تتوقف الكتب السماوية والأديان عن البحث في هذه المسألة فكلها أشارت إلى القيامة والبعث وأن الإنسان لن يُترك سدى وانه سيقوم مرة ثانية وينشق عنه القبر، وسيحيى حياة أخرى أفضل بكثير من الحياة الدنيا ، مما يؤكد انتشار ثقافة وأسئلة الموت حول الإنسان في كل العصور؛ ولأن الأديان تحاول حل أزمة الدنيا فهي أيضا لا بدّ أن تخوض في أزمة الآخرة ، وسؤاله لماذا نموت قاد الإنسان في النهاية إلى الفلسفة ،إذ يرى سقراط أن الموت ملهم الفلسفة فالفلسفة هي معرفة الموت فإنه بدون الموت لا يمكن للبشر أن يتفلسفوا ولذا فإن الحيوان يحيا دون معرفة الموت ، أمّا في حالة الإنسان ، فإن اليقين المروع بالموت يتداخل مع العقل أي مع تقبل فكرة أنّ كل ما يحيى ويتنفس سيختفي ببساطة بعد حين من الدهر وقد حاولت المسيحية خلق نوع من التصالح بين الإنسان والموت بمجئ يسوع المسيح وموته وقيامته ، إذ عُدّ ذلك بمثابة تخليص للبشر وغسل لخطاياهم ، من هنا صارت الإنسانية تتطلع إلى عالم جديد يُبنى على أنقاض هذا العالم . وقد أشار رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم إلى مسألة موت الموت وذبحه بين الجنة والنار(يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار) وبذلك يمكننا أن نستنتج أن الإسلام عدّ الموت معوّقا في طريق بناء العالم الجديد، إذ لابد من ذبحه في القيامة لتطمئن الإنسانية بخلاصها النهائي منه ، لكن الإنسان ظل(يسير مرهقا نحو الراحة ولا راحة إلاّ في باطن الأرض) لقد أدرك الإنسان هذه الحقيقة، حقيقة أن يموت ليبدأ من اللحد رحلته التي يخشاها وتقلقهُ، وإذا توقفنا عند القبر أو عند مسألة دفن

الإنسان –دون المخلوقات الأخر – في قبر فذاك يشير إلى أمر لا لبس فيه وهو العودة إلى رحم الأرض والانبعاث منه مرّة أخرى،أو أملاً بالعودة،وفي العصور القديمة كان تصور الإنسان عن الموت والبعث مشابهاً لهذا فقد راح هذا الإنسان يتخيّل عالماً سفلياً بعد الموت وهذا العالم يكون مكانه تحت الأرض (إن الرؤية المادية للموت تنطلق من الوضع الفيزيائي للجسد عندما يكون ميتاً ولعل هذا ما يفسّر التصور الأسطوري لحياة ما بعد الموت حيث أُوجد الحيز الفيزيائي المناسب وأُطلق عليه تسمية العالم السفلي وهو عالم لا توجد فيه كائناته بأرواحها فحسب ولكن بأجسادها أيضا وهذا التصور الأسطوري للوضع الفيزيائي للموت والموتى استفاد من مسألة دفن الموتى تحت التراب فيكون القبر بمعنى من المعاني مفتتحاً لتناسل قاموس" تحتي " متعلق بالموت وما بعده) .وهنا لي أن أقول أن الإنسان لم يكفّ في كل العصور وبمختلف التصورات والسبل عن محاولة العودة إمّا بالبعث الذي أشارت إليه الكتب السماوية ،أو بتخيّل العالم السفلي كما فعل إنسان الحضارات القديمة ،وقد ورد الموت في كتب اللغة بمدلولين الأول:حقيقي وهو الموت الطبيعي والثاني بمد لوله المجازي ففي لسان العرب: الموت خلق من خلق الله تعالى :الموت والموتان ضد الحياة والموات بالضم الموت وقيل الميت والمائت الذي لم يمت بعد هذا هو المعنى الحقيقي للموت اما المعنى المجازي فقد أورده على لسان الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميّت
وانما الميت ميّت الأحياء

أي ثمة أناس ميّتون في الحياة فقد أراد بذلك الموت المعنوي وتجليّاته المختلفة و ذهب إلى معنى الموت المعنوي أدونبس :

عُلّق بالغيب فأجفانه
رمليّة الأفق
كأنّما من يأسه
شمسُه تغيب في الشرق

هذا هو الموت المعنوي وقد تماهت به الذات الشاعرة

و جاء في الصحاح :

(المَوْتُ ضد الحياة ماتَ يمُوت ويَمَاتُ أيضا فهو مَيّتٌ و مَيْتٌ مُشدداً ومُخففاً وقوم مَوْتَى و أمْواتٌ و مَيّتُ و مَيْتُون مشدداً ومُخففاً ويستوي فيه المُذكر والمُؤنث قال الله تعالى (لنُحيي به بلدة مَيْتاً ولم يقل مَيّتةً و المَيْتَةُ ما لم تلحقه الذَّكاة و المُوَاتُ بالضم الموت و المَوَاتُ بالفتح ما لا روح فيه والمَوات أيضا بالفتح

الأرض التي لا مالِك لها ولا ينتفع بها أحد و المَوَتانُ بفتحتين ضد الحَيَوانِ يُقال أماتَهُ الله و مَوَّتَهُ أيضا و المُتَماوِتُ من صفة النَّاسِك المُرائي) وسنعالج موضوعة الموت في شعر موسى حوامدة بمحورين اثنين:

المحور الأول: الكائن وسلطة الموت المادي – تجلّيات الخوف من الموت -

المحورالثاني: الكائن وسلطة الموت المعنوي - تجلّيات موت الكائن في الحياة -

المحور الأول:الكائن وسلطة الموت المادي – تجليات الخوف من الموت -

منذ أن تبيّن للإنسان أن الموت هو المواجهة الأخيرة مع المجهول لم يكن مفاجئاً له المعاناة الدائمة من الخوف منه خصوصاً من يعاني من القلق و التوتر و الهلع.وإذا كان الموت أمراً حتميّا فإنه من المستحيل الهروب من حقيقة الخوف منه والذي يفكر في الموت لابد أن يفكر في الحياة ، فهل ستتوقف الحياة ذات يوم ؟وما معنى وجود الإنسان فيها ؟وهل حياتنا شجرة تورق ثم لا تلبث أن تجفّ عروقها وتموت وما هذا الإنسان الذي يأتي من رحم يحيط به الظلام إلى مكان النور ويعيش فيه ما قُدّر له أن يعيش ثم يختفي مثلما تختفي أشباح الليل؟وقد تبدو الحياة جميلة في عين الكائن ولا يعدل جمالها شئ فيسعى إلى التمسك بها ولكن بمجرد أن يموت له صديق نجده يفيق من غفوته فيحس أن الموت قريب ، وان كل لحظة يحياها تقربه من السرّ وانه لابد أن يلاقي هذا السرّ يوماً،وقد كان الشاعر أكثر قلقاً من غيره تجاه الموت والغياب إذ إن الكتابة تشكّل بحد ذاتها محاولة لمواجهة الموت ، والتغلّب عليه بحضور ما يتجلّى في القصيدة من خلود ، يقول بدر شاكر السيّاب :

جنازتي في الغرفة الجديدة
تهتف بي أن أكتب القصيدة
فأكتب ما في دمي واشطبُ
حتى تلين الفكرة العنيدة

وكأنّ القصيدة هي الرد الوحيد على عالم الفناء والموت ، والشاعر إذ يخاف الموت هنا فهو يخاف المحو والغياب في هوة سحيقة ، فيضطر إلى ترك ما أحبّ في الدنيا من أ صحاب يودّهم وأماكن ألفها وأحلام وطموح سوف يتأجل بسبب عائق الموت ذاهبا إلى عالم يجهله ، والإنسان بطبيعته يخاف المجهول ، وإذا كان السيّاب يتشبث بالقصيدة لينتصر على الفناء ،فمحمود درويش يتشبث بطائر الفينيق ليعود إلى الوجود مرة أخرى :

سأصيرُ يوما ما اريدُ
سأصير يوما طائراً وأسلّ من عدمٍ وجودي

فمحمود والسياب قد خافا أن يهاجمهما الموت في أية لحظة فاحتمى أحدهما بالقصيدة وذهب الآخر إلى الأسطورة فهل أحس الشاعران بأنّ الموت أقسى ظلم يقع عليهما بعد أن كانت حياتهما محاصرة بالموت بسبب الفقر في حياة السيّاب ، والاحتلال الإسرائيلي في حياة درويش؟ إنها محاولة الشاعر لمواجهة حالة جوهرية لم يستطع الإنسان أن يواجهها ،(فما أن يأتي الإنسان إلى الحياة حتى يصبح شيخا هرما ناضجا للموت)

كيف واجه موسى حوامدة مشكلة الموت؟ وهل الذات الشاعرة نظرت إلى الموت أنه مشكل؟ هل الموت عنده جزء من الحياة أم انه نهاية الحياة ؟هل الموت عنده خطيئة كما ينظر إليه المسيحيون ، فهم يرون أن الموت نفذ إلى الإنسان عبر الخطيئة أي أنّ آدم مات منذ ارتكب الخطيئة ، وبُعثَ المسيح لكي يخلّص الإنسان من خطيئته . هذا ما سوف يجيب عليه بحثنا ما استطاع

لا يخفى أن موسى في أكثر من مكان يعلن أن جيناته فرعونية نقرأ : (لعلّ جيناتي فرعونية الأصل ،فقد خلّدت حضارة الفراعنة ثقافة الموت سواء ببناء القبور الملكية أو الأهرامات) وبذلك يلمّح إلى تماهي ذاته مع ثقافة أجداده الفراعنة وفي مكان آخر يقول (أنا لا اكتب قصيدتي بناءً على قرار فهي تنبت في تربتها) . إذن التفكير في الموت والكتابة عنه شئ أصيل في الذات الشاعرة فهو يستجيب له مثلما تستجيب التربة الخصبة عندما تُرمى فيها البذور، وبذلك يقرر الشاعر أن تفكيره في الموت يكشف عن مساحات واسعة من القلق تجاه قضية الزوال التي تبدو غير متكلّفة أو مصطنعة لديه ،والحقيقة أن الذات الشاعرة محاطة بكل آليات القهر التي يصنعها المحتل منذ ١٩٤٨الى اليوم ، لكن الشاعر لا يكتفي بسرد حكاية الموت الفلسطيني فهو يوثّق لحادثة وقعت له في الطفولة نقرأ:(ربما تكونت لدي من الداخل، كراهية للموت، منذ مات صديق طفولتي "صالح"، وأنا في الثالثة من عمري وظللت أذهب للمقبرة أناديه كي يخرج لنكمل اللعب) وقد تكون كراهية الموت هذه دفعته إلى أن يعنون احد دواوينه ب(سلالتي الريح عنواني المطر) إذ يتألف هذا العنوان من أربعة دوال : (سلالتي)وقد جاء في تفسير ابن كثير إنها تعني آدم (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن

الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين ، وهو آدم ، عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون. وقال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي يحيى ، عن ابن عباس : من سلالة من طين قال : صفوة الماء .

وقال مجاهد : (من سلالة أي : من مني آدم فوفق هذا المفهوم ترى الذات الشاعرة أنها قد خلقت من الريح (الدالة الثانية من العنوان)وقد جاء في قوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) .

فقد اعتقد بعض المفسرين أن المقصود بالرياح لواقح هو دور الرياح في نقل حبوب اللقاح إلى أعضاء التأنيث في الأزهار ليتم الإخصاب وتكوين الثمار، وهو دور معروف وثابت علميا ،فالشاعر هنا ينتمي إلى أداة الخصب الرياح التي تجعل الحياة متجددة، والريح لا يقضي عليها الموت كما يقضي على سلالة آدم ، مما يبوح بمستويات عالية لكراهية الموت، تضمره الذات الشاعرة وان لم تصرّح به،والدالة الثالثة (عنواني)عنوَنَ ذاته جعل لها عنواناً يدل عليها متماهياً بالدالة الرابعة (المطر)وبذلك تُوسطر الذات الشاعرة نفسها فالمطر ماء يوحي بكل معاني الخصب والانبعاث ، نستنتج من ذلك أن الريح والمطر ينتميان إلى الحركة الدائبة التي تكون نتيجتها النماء والانبعاث والتجدد والخلق المستمر ومواجهة الموت والغياب، وفي عتبة الإهداء التي تتصدر الديوان نجد صدى مجابهة الموت في عبارة (ترقيةً لهذا الأثر) التي وضعها فوق الإهداء منصوبة على الحالية فهو بذلك يرقّي أثره من الحسد والخوف والموت والرقية)ما يُرقى ويعوَّذ به المريضُ ، كقراءة آية من القرآن ، أو التعوُّذ بأسمائه تعالى وصفاته (.نقرأ في الإهداء الذي يحمل عنوان : ترقية لهذا الأثر :

رَحَلا دون أن أراهما، وَدُفِنا وأنا بعيدٌ عنهما
إلى محمد حسين جابر
أَبي، الذي رحلَ في ١ -٥ -٢٠٠٣،
إلى مَليحة سلامة أبو عقيل
أمي التي رحلت في ١٨ -٥ -٢٠٠٣،
إليهما معا أُرَقّي هذه الريح،
آملاً أن تنعشَ روحيهما، وهما يهيئان لي قبراً جميلاً بينهما.

هكذا تُرقّي عتبةُ الإهداء الريح التي ترسلها الذات الشاعرة لتنعش روحي محمد ومليحة والدي الشاعر إذ تنسجم هذه الريح مع معاني (الحمد) التي ترتقي بسيرة الأب ومعاني (الملاحة) التي تعطر

ملامح أمّه ، فبين الحمد والملاحة عرى لا تُفك وكل محمود ومحمد فهو مليح وهي (صفة مشبهة تدل على الثبوت) وإذ يحن حوامدة إلى قبر جميل بين أبويه فهو يحن إلى طفولته فالمهد بداية اليقظة من السديم واللحد نهاية اليقظة وفي الحنين إلى المهد حنين إلى اللحد وفي التطلع إلى الحياة الأولى تطلّع إلى حدود لا تفصل عن الموت .يفتتح الشاعر ديوانه (سلالتي الريح.....) برثاء والده ، وعنوان القصيدة (للخديعة طعم الأبوة) يلمّح إلى الموت إذ بإمكاننا أن نستبدل الموت بالخديعة فيصير للموت طعم الأبوة إذ إن الذات الشاعرة ترى في الموت نوعاً من الخديعة التي استدرجت أباه :

للغيوم نهار آخر

للخديعة طعم الأبوة

للمشانق حكمة تخفيها الرهبة

يخيّم فضاء الموت عبر الدوال:(خديعة، مشنقة،رهبة، الغيم)مما يلمح إلى انكسار الذات الشاعرة أمام (الموت)الذي اختطف الأب إلى المجهول وممّا لا يمكن إنكاره قسوة الفضاء الذي تشيعه هذه الدوال والتي لا توحي بسوى الذهول الذي يتوافر على أشياء الأب المتروكة:

كلماته ترنّ في إذن الجبال

سعاله يصدحُ عاليا

بياضُ حَطته

تهدّل عقاله

حزامهُ الجلديّ العريض

يبدأ الشاعر بالوقوف على الدوال(السعال، العقال ،الحَطة ، الحزام الجلدي) فقد حملت رائحة أبيه الراحل ، وتبدو هذه الأشياء تبث صوَر الأب، تشيعه في المكان، تحضره من المجهول ، بظهره المحني ،بسمرته، وثمة تعلّق طفولي بأشياء الأب التي يعاينها الشاعر فهي تعطي أكثر من رابط لفك شفرة كراهيته الشديدة للموت ، وثمة خيط يربط بين رحيل الأب ورحيل (صالح) صديق الشاعر إذ إن موسى وقف طويلاً متشبثاً بقبر صالح يناديه كي يقوم لإكمال اللعب ، فها هو ذا يتشبث بثياب أبيه كي لا يذهب ،ففي كلا الحادثتين يحاول الشاعر الهروب من حقيقة أن الموت هو الانقطاع الشديد عن الحياة ، وبذلك تكون الذات الشاعرة قد فقدت التوازن ، فهي تنكر اتصالها بأي شيء ، محاولة أن تكون ذاتاً أخرى، أو أن تخرج من ذاتها، فلا هي قادرة على الحياة ولا قادرة على الموت، فهي غير متقبلة لحقيقة أن الموت هو الغاية القصوى للوجود البشري :

هنا دمعُه المتدفّق

هنا ماؤه العذبُ

هنا جنَّته الضيقة

هناكَ خلفَ اللاشيء

بنى للكلماتِ قبرَها وللغيابِ وَصايا .

تشيع صورة آدم في فضاء هذا النص ، إذ إن المقطع الشعري يرسم دورة حياة كاملة فولادة الإنسان تبدأ بدمع غزير ثم لا يفتأ حتى تصير له جنّة يجري تحتها الماء،والجَنّة في اللغة هي البُسْتان، ومنه الجَنّات، وتصغيرها جنينة، والعرب تسمّي النخيل ، والجَنّةُ الحَديقةُ ذات الشجر والنخل، وجمعها جِنان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيره والكلمة مشتقة من جَنّ أي سَتَرَ وأظْلَمَ وخَفَى. سميت بذلك لسترها الأرض بظلالها. وقد وردت بهذا المعنى في سورة الكهف مثلا في الآية:) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (ويقصد عادة في السياق العام «تلك الجنة التي وعد الله عباده بالغيب» وهي نقيض النار. والجنة مصطلح للدلالة على مكان فيه رخاء ونعيم وحياة رغيدة كاملة الملذات .

لكن هذه الجنة ضيقة مما يلمّح أن لها مدلولاً يعود على والد الشاعر لتنتهي بقبر وتؤول إلى الغياب واللاشيء:

أبي الذي كانَ

أبي الذي يكونُ

أبي الذي لم يكنْ.

ولعل الفعل الماضي (كان) يعيد رسم هذه الحياة من زاوية أخرى فالفعل (كان) يجسد تمظهرات ولادة (ادم أو الإنسان أو حسين حوامدة) ، والفعل (يكون) يلمّح إلى تمكّن الكائن ونضج قدراته ، والفعل المضارع (يكن)المنفي ب(لم) يحشد كلّ دوال الزوال التي تنتهي إلى اللاشئ مما يولّد الشعور بالعبث ويطرح أسئلة كثيرة عن مغزى هذه الحياة .

أو كأن هذه الأفعال فقدت مدلولها الزمني في خانة العبث ، مما يجرّ الزمن كله إلى هوة كبيرة من الغياب ، وكأن والده بعد هذا الرحيل لم يكن، وهذا لا ينسجم مع ماذهب إليه الناقد مثنى حامد إذ رأى أن(الديانات، خصوصاً السماوية تطلب منا الإذعان للموت حين يأتي. إذ لا مفر منه، ولا مهرب عنه. ويتفق الشاعر مع المطلب الديني بخصوص تقبل الموت دون معارضة. فتراه قد تقبل الموت كما هو، واستعد للرحيل معه.) إذ ما يؤكد كره موسى الشديد للموت؛قوله في القصيدة ذاتها :

لستُ شاهداً على الفتنة

كنتُ حَطبَها المحترق.

فهو يُعدّ الموت فتنةً وناراً متأججة ونحن حطبها ، ويعدّ الموت عتمة نقرأ له مخاطباً أباه:

الذي لم يُودّع النهار

حمل عتمته وطار

فدالة (عتمته)أيقون للموت تدخل في علاقة مشابهة للعالم الخارجي له، فالعتمة ممكن أن تتضمن معنى من معاني الموت،وكراهية الموت مشروعة كون (الموت يقتلع الحقيقة الإنسانية من وجودها ويدفع بها نحو النهاية والفناء)

نقرأ له:

حُطامي بين يديَّ

حطامي أمامي

حطامي معي

فإذا رفعنا الدال (حطامي) من النص، ووضعنا مكانه الدال(موتي) لصارت المسألة واضحة ولا تقبل اللبس ،فالذات الشاعرة ترى أن موتها ملازم لها (بين يدي ،أمامي ، معي)فالظروف المكانية مليئة بالموت مكتظة به، لتنتقل الذات من اللاحسمإلى الحسم وإشهار موقفها منه،وبذلك تعيش الذات الشاعرة ميّتةً مع وقف التنفيذ ،فموتها معها منذ ولادتها ، لكنها إذ تصرخ هكذا فهي في طبقاتها العميقة تحتجّ على محوها،وهي تتدفق حياةً، و(الموت لا يمح الأشياء والجهات ولعلّه في احد وجوهه ذروة التوهج الفائقة للحياة ،لكنه يظل اللائحة المحيرة التي يقف أمامها الإنسان طويلا)" "وموسى لا ينتظر الموت كسلفه دروش الذي رتب الحياة فهي ولادة ثم موت ومابين الولادة والموت فقد انسن درويش الموت وراح ينتظره :

لاشئ يبقى على حاله

للولادة وقت

وللموت وقت

.....

كل نهر سيشربه البحر

والبحر ليس بملآن

فمحمود موقن أن الحياة تؤدي إلى الموت ،إلّا أن موسى يرى أن الإنسان يولد وموته معه فهو يولد ميّتا في تأمل يُشيع فضاء الفاجعة، فكأن الموت غريزة وهو غريزة كما يؤكد ذلك فرويد،غريزة صامته تعمل في داخل الكائن الحي وتظل خافية في أعماقه وبذلك يصبح للذات الشاعرة موتها الخاص فالكائن لايحيا ليموت ؛ بل يموت ليموت وبذلك تصير الحياة موتاً مخفياً يظهر عندما يموت الكائن ، نقرأ لموسى :

منذ أن تلعثم آدم

هبطت بنا الأرض إلى قبورها

يشير الدال (تلعثم) إلى طفولة آدم والتلعثم كما جاء في لسان العرب الانتظار وقيل ما

تلعثم أي لم يبطئ في الجواب ،وبذلك يكون القبر مصاحبا لطفولة ادم فآدم ولد فولد قبره معه لتلمّح الذات الشاعرة إلى بعض خيوط العدمية الآتية من المثاقفة .

المحور الثاني:الكائن وسلطة الموت المعنوي (تجليات الموت في الحياة)

يتخذ الموت في شعر حوامدة بعداً فلسفياً وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقضايا الاجتماعية ، فقد أحاط الموت المادي بحياة حوامدة عبر تداعيات القضية الفلسطينية ، صحب ذلك موت معنوي امتد على خارطة الوطن العربي بسبب موت الأخلاق ، والطبقات المختلفة للتآمر على قضية الإنسان العربي والفلسطيني معا،فوفْقَ هذا المفهوم يكون لصورة الموت عند حوامدة مصدران الأول :ألوف الشهداء وهم يتساقطون على الدرب ، وموسى ذاته يشهد بذلك :(كان يتراءى لي أن الشهادة، أو أن أموت شهيداً ربّما يحرر الكون كلّه، وليس فلسطين فقط ، لكن ذلك كان وهماً رأيت الشهداء يتساقطون..) .أمّا المصدر الثاني فقد أتى من الثقافة، والذات الشاعرة تثبت ذلك بقولها:(ولاننسى كتاب الموتى الفرعوني ذلك النشيد الخالد لرثاء الأموات) ولا نستبعد اطلاع الشاعر على نتيشة وما تركته فلسفته من اثر بالغ –على وجه الخصوص– في حياة هيمنكواي وفرجينيا ولف إذ ترى هذه الفلسفة أن يموت الإنسان حباً في الحياة ،فهو يريد الموت على نحو آخر، أن يريده حرا ، يكون يوم عيد بل أجمل الأعياد الذي يقبل الإنسان عليه طائعا ويجذبه بنفسه ومن يمت موتاً إرادياً يمت ظافرا ، وقد رأت الذات الشاعرة في لاوعيها أن ممارسة الموت المعنوي على الورق نوعاً من الظفر،أو نوعاً من الانتصار عليه ،والموت المعنوي في أبسط تعريفاته هو موت الروح،وموت المعنى الحقيقي للوجود الإنساني، والأمم تصاب بالموت المعنوي بعد زمن سلبي ساكن تمرّ به ، أو حالة توقف في النمو الحضاري، كما حدث للعرب بعد نكبة حزيران ، أمّا اليوم فما يحدث في العراق وفي فلسطين وسوريا ومصر، من قتل واحتلال وخلافات داخلية وغياب النموذج العربي الذي يطمح إلى تحقيق مشروع التجاوز؛ كل ذلك أدى إلى أن ينتشر الموت المعنوي بمساحات واسعة في الشعر العربي الحديث ؛فعندما يعجز الإنسان وعلى وجه الخصوص الشاعر عن تحقيق رغباته ينطوي على نفسه، ويصدّ عن واقعه، لتشتغل بالمقابل ماكنة أحلام اليقظة؛ لتعوّض عن الخسارات الفادحة ، فالشاعر يحلم بمجتمع يسوده حدّ أدنى من العدالة،

يستطيع عبره أن يمارس حرية الفكر، ليحقق طموحه في الشهرة والانتشار في إطار حياة كريمة ومجتمع عادل ، وعندما تغيب كل هذه المعطيات تموت الذات الشاعرة في الحياة ، لتمارس موتها المعنوي في إطار فضاء الورقة ؛فنجد نحن متنفساً،ومساحة واسعة لمتعة الحزن ؛ إذ يكون المتلقي قد أصيب أيضا بالموت في الحياة .ترى المسيحية أن يسوعاً أحيا العالم حقيقة ومجازاً عبر حادثة إحياء لعازر الذي مات فأحياه المسيح_ باذن ربه _ جسدا وروحا ًوالأهم من ذلك أحياه روحاًفقد جاء في إنجيل يوحنا (أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات سيحيا) والحياة هنا قد أراد بها الحياة (المعنوية) التي يتحرر فيها الإنسان من الخطيئة الأولى التي وقع فيها (آدم) وبذلك يتصالح الإنسان مع ذاته فما عاد خاطئاً أي ماعاد ميّتاً.وفي القرآن الكريم يقول جلّت قدرته(وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّا فمنه يأكلون) وبذلك يكون الأكل سبباً لصلاح حياتهم المعنوية، وفي قصيدة الأرض الياب يقول ت .س اليوت على لسان سبيلا:

(سبيلّا) ماذا تريدين ؟

كانت تجيبهم دوما : أريدأنأموت

لقد طلبت(سبيلا) الموت الطبيعي بعد أن ماتت معنوياً، بعد تقدمها في السن فما عادت جزءاً من حركة التاريخ ،ولا شك أنّ الشاعر موسى حوامدة إذ يتماهى في الموت المعنوي فإنه يسجل لمرحلة هامة من الموت المعنوي الذي تمر به حياتنا العربية ، ولابد أن ننوّه أنّ الشاعر يكثّف بذلك وباجتماع صوره لموت قد تعقبه حياة هي الرد الوحيد على ثقافة الموت التي يشيعها (الآخر) .

تنتشر ثيمة الموت المعنوي في اغلب قصائد ديوان (جسد للبحر ....رداء للقصيدة) وعلى وفق هذا المنحى تتضامن العنوانات الآتية شواهد على الموت المعنوي :

١ -**لاشئ جدير بالاهتمام**

٢ -**سأكتب وأرمي للبحر**

٣ -**وأنا ميت**

٤ -**في يد الغيمة**

٥ -**عدم يملأ اليقين**

٦ -**خاوية سلال الوقت**

تنتظم قصيدة (لا شيء جدير بالاهتمام) من مقاطع صغيرة ، لكنها تلتئم كما يلتئم العنقود متنامية باتجاه الذروة ، وقد اثبت الشاعر عنوانها على رأس النص ،ويتألف هذا العنوان من ثلاثة دوال:(لاشئ ،جدير ، الاهتمام) وقد نفت (لا النافية للجنس)

اتصاف اسمها بخبرها ؛ ليصبح النفي أكثر توكيداً فقد أتى قوله تعالى (فلا كفران لسعيه) ولم يأت (فلا يكفر سعيه) إذ إن (لا النافية للجنس)أكثر توكيدا من(لا) الداخلة على المضارع ، والنص الشعري برمته ينبني على العنوان ، فجميع مقاطع القصيدة توحياللا جدوى فالأفق غائم والفيضان آت ،والقصيدة يهندسها الخراب،نقرأ:

إن جئت تبحث عن الكلمات
فها هي طازجة لدي
أو كنت تبحث عن الشعر
فتأمل هذه الأوراق
أوجئت تسمع الموسيقى
فإنها تموج في روحك
وان كنت تبحث عن سبب للكراهية
فتش عليه في صدرك
سأوجز عليك العناء والتعب
هنا خراب في القصيدة
هشاشة في الكلمات
ارتباك في المعاني
غموض في الصورة
وبما انك قادم للبحث عن خلل
لا توقض دماغك الشرير
لا شيء عندي جدير بالاهتمام

إن المسح الأولي للقصيدة يوحي بانتشار مفردات الموت المعنوي (الهشاشة، الكراهية ،التعب ،الخراب، الغموض ، الملل،الشر، القبور، والمخطط الآتي يوضح ذلك فالذات الشاعرة محاطة بكل دوال الخراب ممّا دفع الذات الشاعرة إلى التماهي بالفينيق :

أفكّر بالرماد
وقبله الحريق
وأستريح لو هطلت الأحقاد
ومحا آثاره البركان

فهكذا ترى الذات الشاعرة أن الاحتراق والتحول إلى رماد بشجاعة وصبر منقطع النظير يمحى آثار براكين الحقد، ويقوم الإنسان من جديد كما يقوم طائر الفينيق من رماده ، وفي قصيدته (سأكتب وأرمي في البحر) يتناص العنوان مع المثل الشعبي العراقي (سوي زين وست في الشطّ) أي إعمل معروفاً وارميه في البحر ، والتناص يحتوي على رغبة غير متناهية لفعل الخير دون انتظار مكافأة من أحد ، مما ينمّ عن يأس الذات الشاعرة من الآخر، فلا شكّ أن الماء إذا رُمي فيه شئ ما، فإن الغياب يبلعه ، أو حاول احد أن يكتب فوقه فإن الماء لا ذاكرة له نقرأ:

سأكتب وأرمي في البحر
سأكتب عن الموتى الذين يحيون من جديد
عن الأموات الذين يولدون معي كل ليلة
عن أمي التي لم ترضعني جفوة البشر

عن أبي الذي لم يعرف أن يغري الحليب بالنشوة

والمندلينا بالضحك

ويمكننا أن نزعم أن اللازمة (سأكتب وارمي في البحر) أوحت في بداية الأمر بالمجانية وباللامبالاة إلاّ أنها ليست كذالك إذ إنها عرضت صوراً صاخبة للمهمشين (الموتى الذين يولدون معه ، أُمّهُ التي أرضعته المحبة وأبوه الذي فشل في إكثار الحليب ولم يستطع إضحاك المندلياوالمندلينا فاكهة أصغر من البرتقال(اليوسفي) وقد ترمز هذه (الدالة) إلى مواسم الخير أو فلسطين إشارة إلى ضياع فرصة السعادة فوالد الشاعر ووالدته ينتميان إلى الجيل الذي يتحمل وزر ضياع فلسطين ، فهي ليست لازمة مجانية ففي اللحظة التي تهدم فيها فإنها تبني،وباستطاعتنا أن نقول انه ماكتب ليرمي في البحر،بل ليحرض على العصيان:

سأكتبُ واكتب

ولن أقيل نفسي عن وظيفة الغضب

يتها الدمى المتحركة

أفيقي من سباتك الأبدي

ثمة تمظهرات للموت في الحياة (الدمى المتحركة ،السبات الأبدي ،غفلة الزمان الغيبوبة) الآخرون دمى متحركة في سبات أبدي ايقونات تبث الموت المعنوي والتخدير عبر قصائد لاتجيد سوى التطريب، والشعراء اصدقاؤه يضعهم في خانة الدمى المتحركة المستسلمة للموت وتدمير الذات ، في سيرورة موت مستمر، وإذا عدنا للموجّه القرائي العنوان(سأكتب وارمي في البحر) نجد انه يلمّح أن المخلوقات المائية أكثر استجابة للقصيدة من المخلوقات البرية ،فالماء يمكن أن يغضب واليابسة في سبات :

سحرُ وأدعية وجنازات

فقر وبلاء يجرّ بلاء

أبناء ترعرعوا بيننا

وما حملنا منهم سوى العصي والبنادق

إذا وسّعنا الفكرة قليلاً فإن الفقر والسحر فاتحة لمجتمع الخرافة والفطرية والتفكك والغياب، ذلك أن مجتمعاً يحتفي بالسحر ويتسم بالفقر ويعشش البلاء في طبقاته العميقة فهو يمارس الموت في الحياة ،ونلحظ أن واو العطف التي تفيد الترتيب تبدو كأنها ساحة لصراع هذه الدوال (السحر، الفقر، البلاء ،العصيّ ،البنادق) والبطل الذي يلحظ هذه التناقضات ويعيشها نجده ذاته في قصيدة (الشبيهة) ضمن ديوان موتى يجرون السماء نقرأ:

.....

أيّامي التي صارت حليباً للفئران

للجرذان طعاما/ للدود ينهشُ لحم الأب الحيّ

في قبر الحياة

هو نظام اجتماعي قائم ، يصبح فيه الفرد ميتاً في قبر الحياة، أو في الحياة القبر،غير أن الذي يهمّنا حياتنا عندما تصير طعاما للفئران ،فذاك يعني أن قوى غاشمة تتحكم بالفرد لتعزيز وضع البهتان . وهنا يتم تذويت الكتابة مما يظهر قدرة شعرية فذة في عشق الموت (هي كذلك معادلة حياة ، حياة لا تحيا إلاّ بالموت) فيمكننا أن نلحظ الذات الشاعرة وهي في خضم عشقها للموتى وانشدادها اليهم،إنها تطلب من السماء أن ترأف بهم :

يا.....

سماء

تريّثي بهم قليلاً

احمليهم بخفّة الملائكة

فقد حُذفَ المنادى في السطر الأوّل ووضِع أمام ياء النداء العديد من النقاط ، ممّا يلمّح إلى أن الذات الشاعرة في ضيق وتأزّم ،ليظهر المنادى في السطر الثاني ، وقد اطمأن الشاعر أن السماء قريبةٌ، وهي رحيمةٌ بمن في جوارها .والمشهد كله يظهر تطور موقف الذات الشاعرة من الموت فهي صديقة للأموات ، تعشقهم وتطلب من السماء أن تكون رحيمة بهم وقد يكون الموت المعنوي الذي تمر به الذات الشاعرة هو الذي يدفعها لصداقة الأموات ، لقد أدرك الوعي الشعري لدى الشاعر أن زمنه مخرَّبٌ فكان لابدّ من الخروج منه لأن الإنسان لا يصبح نفسه إلاّ عندما يخرج منها وبذلك تكون الطاقة الدلالية لعبارة(احمليهم بخفة الملائكة) قد أوضحت تواطئاً كبيراً مع الموتى ، وخروج الذات الشاعرة من الحياة اعتراضاً على ما فيها من فقدان توازن ، وعليه يحقق ديوان (موتى يجرون السماء) تحوَلا كبيرا في شعر حوامدة ،فبعد أن كان الموت في (سلالتي الريح...عنواني المطر) و(جسد للبحر ...رداء للقصيدة) مكانا طارداً صار في (موتى يجرون السماء) مكانا جالباً تهرب فيه الذات إلى الموت الذي يبدو في الظاهر غيابا لكنه يجسد الحضور بكل تفاصيله ، فكهف الموت الذي تلتجئ اليه الذات الشاعرة إنما هو الرفض والمواجهة فطائر الفينيق –الذي موطنه فلسطين- يقوم من رماده ، وفي معرض الإشارة لهذا الموت نجد أن مسرحه تجري أحداثه فوق الأرض وليس تحتها نقرأ:

أغادر منزلتي الأخيرة

أجلس تحت سور الصباح

أرقب سوط الضابط

يجلد فأراً ميتاً

ليرهب الكلاب الضالة

ليقتل الأفكار الحرة

بوسعنا أن ننعت هذه الدوال الثلاث (الضابط والكلب الضال والأفكار الحرة) بأنها كائنات دنيوية وعبارة(منزلتي الأخيرة) تبدو دالة إيهامية تأخذ المتلقي إلى المنازل التي يمر بها الإنسان في الآخرة وهي كثيرة منها : سكرات الموت وحشة القبر وضغطة القبر و البرزخ ، أمّا منازل حوامدة فهي دنيوية: سوط الضابط ، جَلد الفأر،قتل الفكر الحرّ، وبذلك ترسم لنا هذه المنازل صورةً للمسكوت عنه،وتعرض لنا مساحة مقمّطة للبوح الشعري.

وإذ يتماهى الشاعر مع آلامه فهو لا ينسى آلام الإنسانية (اشعر بما عاناه مصابو توسونامي ،وزلزاال الفلبين وجوعى افريقيا ومرضى الايدز،ولا يجوز أن احصر الألم في جرحي ،فكل دماء العالم حمراء) نقرأ

اسمع دبيب الخوف

يسري في أوصال الكائنات

لن اصرخ مرتعداً

لست شجاعاًأكثر مني

ولست جبانا لأهرول خلف قطار الفرصة الضائعة

ولا املك طاقة على الهروب من اللعبة

ينظر الشاعر خارج ذاته فهو يشارك الكائنات خوفها من الموت ، يروج لذلك ليجعل موته إنسانيا فليست فلسطين موته ووجعه فحسب بل أيضا ضحايا سونامي وزلزال الفلبين واحتلال العراق وجوعى أفريقيا،فالشاعر في هذا النص يظهر علامة ألمه لينجذب إليها علامات الم أخر إقليمية وإنسانية حتى تصير(أوصال الكائنات) أوصاله، ودمها دمه ،ودالة اللون الأحمر توحّد هموم العالم ، ولم يكتشف الشاعر سرّ الموت أو سرّ اللعبة ولم يدلنا إلى دواء للموت ، بل يغني ما تتركه العاصفة حطاماً على الأرض.

نتائج البحث

بعد أن انتهينا من دراسة الموت في شعر موسى حوامدة توصلنا إلى نتائج عديدة نوجزها فيما يأتي :

١- لقد تماهى الشاعر مع ثقافة أجداده الفراعنة ، إذ إنهم أشاعوا ثقافة الموت في ما تركوه من فن وعمارة ، فهو يؤكد أن جيناته فرعونية ، وفي ذلك تلميح إلى تواشج ثقافته مع تلك الثقافة .

٢-إن التفكير بالموت يكشف عن مساحات واسعة من القلق تجاه الزوال، يعتمل في الذات الشاعرة ، وان محاولة تشعير الموت بما يجعله يغطي مجموعة شعرية كاملة (موتى يجرون السماء) ، دليل على تواطؤ الذات الشاعرة مع عالم الموت والغياب.

٣-إن الذات الشاعرة ترى أن الإنسان يولد فيولد موته معه .

٤- لقد وجدنا أن عنوانات الشاعر الرئيسة : (سلالتي الريح..عنواني المطر)و (جسد للبحر...رداء للقصيدة) تلّمح إلى لجوء الشاعر لمكونات الطبيعة،تعبيراً عن نوع من الإحتماء والتشبث بالخلود كون هذه المكونات لا تموت أو هي أطول عمراً من الإنسان .

٥-يتسم موقف الشاعر من الموت بالخصوصية ففي البدء كان يراه فتنة وعتمة فتطور موقفه منه فصار يحن إليه ، متعاطفاً مع أمواته

٦-يتخذ الموت في شعر حوامدة بعدا فلسفيا ويرتبط ارتباطا وثيقا بالقضايا الاجتماعية.

٧-لصورة الموت في شعر حوامدة مصدران الأول شهداء فلسطين ،والثاني المثاقفة .

٨-ثمة تعلّق طفولي بأشياء الأب الراحل (حزامه ،عقاله...) التي يعاينها الشاعر تعطي أكثر من رابط لإدانة الشاعر الشديدة للموت .

٩-إن الشاعر يشارك الكائنات خوفها من الموت ليبصبح موته الشخصيّ موتاً إنسانيا إذ إن موتى سونامي وزلزال الفلبين يلتقون في الآصرة الإنسانية معه فدمه دمهم ودالة اللون الأحمر تلّم حبّات العُنقود الإنساني .

ثبت المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

-الكتاب المقدس

المصادر:

١-جسد للبحر ....رداء للقصيدة

٢-سلالتي الريح.....عنواني المطر

٣-موتى يجرون السماء

الهوامش :

-ينظر فلسفة الموت :أمل مبروك، التنويرط١ بيروت لبنان ،٢٠١١: ٤٤

-شواطئ أخرى لمحمود درويش:سهير أبو جلود دار مكتبة عدنان ط١ ،٢٠١٣: ١٢٣

--ينظر فلسفة الموت : ٢٦

- الموت والمغامرة الروحية :عمر منير منصور، دار الحكمة ،دمشق ،١٩٨٧: ٢٦

-حوار مع موسى حوامدة الشبكة العالمية للمعلومات

http://www.alriyadh.com/851656

-ينظر فلسفة الموت :٩٠

صحيح مسلم :مسلم بن حجاج،ت نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة ،دار طيبة،ط١،الرياض ٢٠٠٦رقم الحديث:٥٦

-من مقدمة ادونيس لقصائد مختارة لبدر شاكر السياب دار الآداب ط٣ بيروت ١٩٨٧ :١٥

- الموت المتخيل في شعر أدونيس :عبد السلام مساوي،دارالناية ،ط١ ،دمشق٢٠١٣: ١٧

- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر٢٠٠٣ مادة موت
- قصائد أولى: ادونيس، بدايات ط١سوريا جبلة ،٢٠٠٦: ٤٩
- الصحاح :إسماعيل بن حماد الجوهري ت احمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين بيروت ط١(د.ت) مادة موَت
-الخوف من الموت متاح على الانترنيت www.tabibnafsany.com/phopia_treatment_of_adult_death_fear.html:1
- قصائد:بدر شاكر السياب ، :١٩
- جدارية : محمود درويش، مكتبة مدبولي ، القاهرة،ط٢ ، ٢٠٠٢: ٩
- ينظر Heidegger op cit H246 p22
: نقلا عن فلسفة الموت :١١٧
مشكلة الموت في الثقافة العربية :خيري منصور، متاح على شبكة المعلومات العالمية nnas.com/BIBLTEK/smr22al:8--
- م.ن:١٦
-مشكلة الموت في الثقافة العربية :١
-تفسير القرآن الكريم :ابن كثير القرشي الدمشقي ،ت سامي محمد السلامة دار طيبة الرياض ٢٠٠٢:
-الحجر ، اية ٢٢
- الأعجاز العلمي في قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح ، متاح على الاترنت www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1692
- معجم المعاني الجامع متاح على الاترنيت :www.almaany.com/ar/dict/ar-ar مادة رقي
- سلالتي الريح ..عنواني المطر: موسى حوامدة ،دار الشروق ط١عمان٢٠٠٧: ١٣
-معجم المعاني الجامع :متاح على الأنترنيت www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/م
- قصائد : بدر شاكر الشياب :١٦
-سلالتي الريح ..عنواني المطر :١٥
-سلالتي الريح ...عنواني المطر:١٥
- فلسفة الموت :١٠٣
- سلالتي الريح ....عنواني المطر: ١٨
-الكهف:آية ٣٢
- الجنة وكيبديا الموسوعة الحرة ، متاح على الأنترنيت r.wikipedia.org/wiki/
- سلالتي الريح .....عنواني المطر:١٨
- الموت من المنظور الشعري عند موسى حوامدة،مثنى حامد متاح على الأنترنيت ، muthnna@hotmail.com :1
- سلالتي الريح عنواني المطر:١٩
- -سلالتي الريح .....عنواني المطر :١٩
-دلائلية الموت في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر:حياةهروال ، رسالة ماجستير باشراف جميلة قيسمون ،كلية الآداب واللغات جامعة منتوري ، قسنطينة ، ٢٠٠ : ٢٠
سلالتي الريح ..عنواني المطر:٢٠
- الموقد واللهب : محمد القيسي وزارة الثقافة ط١ عمان الاردن١٩٩٤: ٤٨
- جدارية : ٨٧
مافوق مبدأ اللذة: فرويد ، ت اسحاق رمزي ،دار المعارف القاهرة ،١٩٩٤: ٨٦
- سلالتي الريح ..عنواني المطر : ٢٩

– لسان العرب ابن منظور دار صادر، بيروت ، مادة لعثم

– حوار مع موسى حوامدة متاح على الأنترنيت http://www.maghress.com/alalam/18532

م.ن

– أدباء منتحرون ، الانتحار في نظر التحليل النفسي : كاظم حسوني ، مجلة الاقلام ،بغداد ،ع١ ٢٧: ٢٠١٥

–الكتاب المقدس ، انجيل يوحنا الإصحاح ١١/ ٢٥ وينظراسطورة الموت والإنبعاث ريتا عوض،رسالة ماجستير ،كلية الآداب ، الجامعة الأمريكية ،بيروت ١٩٧٤: ٣٥

بس :٣٣

الأرض اليباب :عبد الواحد لؤلؤة ، مكتبة التحرير ط٢ بغداد ١٩٨٦: ٣٣

– سورة الأنبياء آية :٤٩

– –جسد للبحر ....رداء للقصيدة:٣

– جسد للبحر....رداء للقصيدة :٧

جسد للبحر .... رداء للقصيدة: موسى حوامدة ،دار نون ،ط١ ،الإمارات،٢٠١٥: ٢

– م.ن :٨

–جسد للبحر....رداء للقصيدة: ٩

–موتى يجرون السماء:٢٥

–الشعور بالموت والموقف المضاد: حسين سرمك حسن ،مجلة ضفاف بغداد،ع٣ ،٢٠١٥: ٤٩

–موتى يجرون السماء:٣٠

– ينظر ادونيس عراف القصيدة العربية ، عابد اسماعيل الأمانة العامة لإحتفالات دمشق عاصمة الثقافة العربيةط١ دمشق ٢٠٠٨: ١٣

–موتى يجرون السماء : ٤١

– ينظر منازل الآخرة : عباس القمي ، مؤسسة البلاغ ،ط١، بيروت ،٢٠٠٢: ١، ٣٥

–حوار مع موسى حوامدة : مؤيد ابو صبح ، مجلة القبس ،عمان ، ع١٢٠٧٨، ٢٠٠٧ :٣٢

– –موتى يجرون السماء :١٤

المراجع:

أولاً : الكتب العربية والمترجمة:

١–أدونيس عراب القصيدة العربية: عابد اسماعيل ،سلسلة أعلام الادب السوري ،ألامانة العامة دمشق عاصمة الثقافة ط١ ، ٢٠٠٨

٢–الأرض اليباب :عبد الواحد لؤلؤة، مكتبة التحرير ط٢،بغداد ١٩٨٦

٣–تفسير القرآن الكريم: ابن كثير القريشي الدمشقي ،ت سامي محمد سلامة ،دارطيبة الرياض ٢٠٠٢

٤–جدارية: محمود درويش ،مكتبة مدبولي ط٢،القاهرة ٢٠٠٢

٥–الصحاح :إسماعيل بن حماد الجوهري ت احمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين بيروت ط١(د.ت)

٦–صحيح مسلم :مسلم بن حجاج،ت نظر بن محمد الفارابي ابوقتيبة ،دار طيبة،ط١،الرياض ٢٠٠٦رقم الحديث:٥٦

٧–فلسفة الموت :أمل مبروك، التنويرط١ بيروت لبنان ،٢٠١١

٨–– قصائد أولى: ادونيس، بدايات ط١سوريا جبلة ،٢٠٠٦

٩–قصائد : بدر شاكر السياب اختارها أدونيس دار الآداب ط٣ بيروت ١٩٨٧

١٠–لسان العرب ابن منظور دار صادر، بيروت ، مادة لعثم

١١-مافوق مبدأ اللذة: فرويد ، ت اسحاق رمزي ،دار المعارف القاهرة،١٩٩٤
١٢-منازل الآخرة : عباس القمي ، مؤسسة البلاغ ،ط١، بيروت ،٢٠٠٢
١٣-الموت المتخيل في شعر أدونيس :عبد السلام مساوي،دارالناية ،ط١ ،دمشق٢٠١٣
١٤-الموقد واللهب : محمد القيسي ،وزارة الثقافة ط١ عمان الاردن١٩٩٤
ثانياً : الكتب الأجنبية :
Heidegger op cit H246 p22-
البحوث المنشورة في الدوريات :
١-أدباء منتحرون ، الانتحار في نظر التحليل النفسي : كاظم حسوني ، مجلة الاقلام ،بغداد ،ع١ ٢٠١٥
٢-الشعور بالموت والموقف المضاد: حسين سرمك حسن ،مجلة ضفاف بغداد،ع٣، ٢٠١٥
الرسائل والأطاريح الجامعية :
١-أسطورة الموت والإنبعاث :ريتا عوض ،رسالة ماجستيركلية الآداب ، الجامعة الامريكية ، بيروت ١٩٧٤
٢-دلائلية الموت في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر:حياة هروال ، رسالة ماجستير باشراف جميلة قيسمون ،كلية الآداب واللغات جامعة منتوري ، قسنطينة، ٢٠٠٠
شبكة المعلومات العالمية :
١-الأعجاز العلمي في قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح ، متاح على
الاترنت
www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1692
٢- الجنة وكيبديا الموسوعة الحرة ، متاح على الأنترنيت r.wikipedia.org/wiki
٣-الخوف من الموت متاح على الانترنيت
www.tabibnafsany.com/phopia_treatment_of_adult_death_fear.html
٤-مشكلة الموت في الثقافة العربية :خيري منصور، متاح على شبكة المعلومات العالمية :
nnas.com/BIBLTEK/smr22al--
٥-معجم المعاني الجامع متاح على الاترنيت
:www.almaany.com/ar/dict/ar-ar
٦-الموت من المنظور الشعري عند موسى حوامدة ، مثنى حامد متاح على الأنترنيت ، muthnna@hotmail.com
الحوارات :
١-حوار مع موسى حوامدة متاح على الأنترنيت
http://www.maghress.com/alalam/18532
٢-حوار مع موسى حوامدة الشبكة العالمية للمعلومات
http://www.alriyadh.com/851656
٣-حوار مع موسى حوامدة : مؤيد ابو صبح ، مجلة القبس ،عمان ، ع١٢٠٧٨، ٢٠٠٧